الحدث بين المدونة التاريخية والتناول الفنى

إعداد

أ.ماجدة احمد عبد الحليم
باحثة ماجستير

أ.د. سحر حسين شريف
أستاذ الادب والنقد بكلية الآداب جامعة الاسكندرية

أ.م.د. أسماء محمود شمس الدين
استاذ الادب العربي المساعد
كلية الاداب جامعة دمنهور

دورية الانسانيات. كلية الآداب. جامعة دمنهور
العدد الحادى والستون - يوليو - الجزء الأول- لسنة 2023

الحدث بين المدونة التاريخية والتناول الفنى

الملخص:

لقد ارتبطت الرواية العربية منذ نشأتها بالوقائع والأحداث التاريخية التي مرت بها البلاد، واتخذت منها محورًا لها، وصارت تستدعي الحدث التاريخيّ ممتزجًا بالمتخيل الروائيّ، وانطلق الروائيون في استلهام وقائعهم التاريخية من وحي خيالهم، وأصبحت جُل الأعمال ذات الطابع التاريخيّ يغلب عليها الخيال الروائيّ، وأصبحت الأحداث التي تحويها الروايات هي عبارة عن قصة تاريخية متخيلة من إلهام المؤلف، وتستوحي الروايات ـ موضع الدراسة ـ أحداثها من فترة حكم الملك فاروق، وحتى قيام الضباط الأحرار بثورة يوليو، وهي فترة زمنية ملهمة لكثير من الروائيين عن الأحداث والوقائع التاريخية الواقعية والمتخيلة في الوقت ذاته تطالعنا فيها وجهة نظر الكُتاب ورؤيتهم الإبداعية في تحقيق هذا الإنسجام النصي، وقد اعتمدوا في استلهامهم للأحداث، ورصدها بشكل جلي لواقع الحياة إبان الثورة، على الحكي والوصف واللغة الجمالية التي نقلوا عبرها حقائق موضوعية يتخللها الخيال، ولكنها حقائق بعيدة عن التصنع والزيف، أسهمت في خلق معاني جديدة استنادًا إلى تاريخ الثورة نفسه، الأمر الذي يجعل من الرواية متعة باضفاء أخيلة فنية، فيستخدم الحدث التاريخيّ تارة، والحدث الروائيّ تارة أخرى.

ولقد نجح الكُتاب في عرضهم للحدث التاريخيّ دون تشويه أو تزييف، فهم على اختلاف مشاربهم ورؤاهم عرضوا له من جوانب متعددة كملت بعضها البعض، والواضح أن الحدث يتنوع باختلاف الروايات والأحداث التي تستلهم تاريخ الثورة، ويشهد مزجًا بين نوعين من المرجعيات الواقعية والمتخيلة، وصناعة وتوليد الأحداث في هذه الروايات من أهم السمات التي يختلف فيها كل مبدع عن الآخر؛ بل هي القيمة التي تميز كل عمل فنيّ عن غيره، من خلال اعتماد الروائيّ على أحداث تضمنية لسد الفجوات التي تخلفها الوقائع التاريخية.

وهذه النماذج الروائية التي استلهمت ثورة يوليو ـ على الرغم من اتفاقها في عرض التاريخ في قالب روائيّ، وفي أمانتها للتاريخ، إلا إنها اختلفت في تقنياتها الفنية وطريقة عرضها؛ نظرًا لاختلاف موضوعاتها، ولتنوع ثقافات كُتابها واتجاهتهم ومشاربهم وخيالهم الإبداعيّ، مما يجعلنا نقر أن استلهام ثورة يوليو في تلك الروايات أضفي على التاريخ بعدًا جماليًا من خلال بث كل كاتب لمضامينه الراسبة في مخيلته، جعلت الحدث التاريخيّ جزءًا من السرد الروائيّ، أضفى على النص جمالًا فنيًا، ومنحته أبعادًا دلالية أرحب

وأوسع، وبالتالي نستطيع أن نؤكد أن نجاح الروائيين في استلهام حوادث التاريخ، وإعادة تجسيده بطريقة أعادت للحدث نشاطه؛ ليصبح في متناول الكثيرين الذين ليس بمقدروهم الذهاب إلى كتب التاريخ الذي أضحى مقتصرًا على طبقة الباحثين والمثقفين.

summary

Since its inception, the Arabic novel has been associated with the historical facts and events that the country went through, and it took them as its centerpiece, and it became invoking the historical event mixed with the novelist's imagination. What the novels contain is an imagined historical story inspired by the author, and the novels – the subject of study – are inspired by their events from the period of King Farouk's rule, until the Free Officers' July Revolution, which is an inspiring period of time for many novelists about real and imagined historical events and facts at the same time. It contains the point of view of the writers and their creative vision in achieving this textual harmony, and they relied in their inspiration for the events, and their clear monitoring of the reality of life during the revolution, on narration, description and aesthetic language through which they conveyed objective facts interspersed with imagination, but they are facts far from fabrication and falsity, which contributed to the creation of meanings A new one based on the history of the revolution itself, which makes the novel a pleasure by adding artistic fantasies, so it uses the historical event at times, and the fictional event at another.

The writers succeeded in presenting the historical event without distortion or falsification, as they presented it from different perspectives and visions from multiple aspects that complemented each other. It is clear that the event varies according to the different narratives and events that are inspired by the history of the revolution, and witnesses a mixture of two types of real and imagined references, and the making and generation of events. In these novels, one of the most important features in which each creator differs from the other is; Rather, it is the value that distinguishes each work of art from others, through the novelist's reliance on implicit events to bridge the gaps left by historical facts.

And these fictional models that were inspired by the July Revolution – despite their agreement in presenting history in a fictional form, and in their fidelity to history, they differed in their artistic techniques and method of presentation; Due to its different topics, and the diversity of its writers' cultures, trends, trends, and creative imagination, which makes us acknowledge that the inspiration of the

July Revolution in those novels gave history an aesthetic dimension through each writer's broadcast of its contents in his imagination, making the historical event part of the narrative, adding artistic beauty to the text. , and gave it wider and broader semantic dimensions, and therefore we can confirm that the success of the novelists in drawing inspiration from the events of history, and reincarnating it in a way that revived the activity of the event; To become accessible to many who are unable to go to the history books, which has become restricted to the class of researchers and intellectuals.

مقدمة:

إن للرواية دورها في رصد حركة الواقع، وتصوير مسيرة المجتمعات والشعوب، والأديب الملتزم هو من يتبنى الرؤية الواقعية النافذة التي ينظر من خلالها إلى تاريخ شعبه، ويكون أمينًا في رسم صورة جلية لقضايا واقعه، وفقًا لرؤيته الخاصة، ولذا فالحدث الروائيّ لا يقع من فراغ؛ بل لابد له من تجربة إنسانية يرصدها في واقع محدد له وجوده الحقيقيّ على خريطة المجتمع، أو خريطة التاريخ، ومن هنا فقد ارتبطت الرواية العربية منذ نشأتها بالوقائع والأحداث التاريخية التي مرت بها البلاد، فاتخذت من الأحداث التاريخية محورًا لها، وصارت تستدعي الحدث التاريخيّ ممتزجًا بالمتخيل الروائيّ، وبذلك بعدت الرواية عن الوثائقية التاريخية التي تمثل حقائق جافة مجردة، واقتربت بذلك من الفن والإبداع، وكان للحدث التاريخيّ دوره في دفع الفعل الروائيّ، وتطور الأحداث .

ومن هنا فالأحداث التاريخية مرجع الرواية وعمودها الفقريّ، الذي يستند إلى متخيلها في قول ما لم يقله التاريخ، وهو ما يصعب من مهمتها، بالاضافة إلى ضرورة مراعاة المرجعية التاريخية في عدم تشويه صورتها الحقيقية؛ لأن على الكاتب أن يراعي طرائق توظيف هذه المادة، ولقد اعتبره الروائيّ " أحد الصيغ الحديثة لإعادة تشكيل الواقع من جديد، سواء كان ذلك للاختباء وراء قناع التاريخ للتعبير عن رؤية خاصة تدين هذا الواقع، وتعريه، وتكشف زيفه " [1]، وعلى هذا الأساس انطلق الروائيون في استلهام وقائعهم التاريخية من وحي خيالهم، وأصبحت جُل الأعمال ذات الطابع التاريخيّ يغلب عليها الخيال الروائيّ، وأصبحت الأحداث التي تحويها الروايات هي عبارة عن قصة تاريخية متخيلة من إلهام المؤلف، أي كما يقول (ألفريد دي فيني Alfred vigny) "ما التاريخ إلا قصة خيالية يكتبها الشعب " [2] ، وبالتالي يتحول التاريخ من قصة واقعية حدثت في زمن ما إلى قصة متخيلة يعرضها السرد الروائيّ بواسطة صيغ فنية جمالية يستوعبها الفن الروائيّ قبل الحقيقية التاريخية .

والرواية التي تستلهم التاريخ لا تأتي صدفة، وإنما تُبنى على الحس الوطنيّ والوازع الوجدانيّ لدي الكاتب " فكأين من روائيّ حاول أن يرسم فترة من زمن التاريخ، وأن يبرز وظيفة سياسية أو دينية أو اجتماعية أو فكرية لشخصية من شخصيات هذا التاريخ، أو يطمع في تخليد بيئة من البيئات، فجاء بغير الحقيقة التاريخية، ولم يعبر لدي نهاية الأمر إلا عن أيديولوجياه هو أو آرائه الشخصية غير الحيادية دون أن يكون بالضرورة قد عبر عن تلك الفترة، أو عن تلك البيئة إلا في إطار أدبيّ خالص " [3] ، فهي تصطبغ بالأحداث

التاريخية، التي يتعامل معها الروائيّ من خلال منظور إبداعي لا يحور الحقيقة عن مسارها، وإنما يعيد صياغته ويحول الحدث التاريخيّ إلى مادة ترتبط بالواقع، وتضفي عليها التشويق الذي يجعل القارىء ينجذب إلى قراءة التاريخ وتداعياته .

تستوحي الروايات ـ موضع الدراسة ـ أحداثها من فترة حكم الملك فاروق، وحتى قيام الضباط الأحرار بثورة يوليو، وهي فترة زمنية ملهمة لكثير من الروائيين عن الأحداث والوقائع التاريخية الواقعية والمتخيلة في الوقت ذاته تطالعنا فيها وجهة نظر الكُتاب ورؤيتهم الإبداعية في تحقيق هذا الإنسجام النصي، وقد اعتمدوا في استلهامهم للأحداث، ورصدها بشكل جلي لواقع الحياة إبان الثورة، على الحكي والوصف واللغة الجمالية التي نقلوا عبرها حقائق موضوعية يتخللها الخيال، ولكنها حقائق بعيدة عن التصنع والزيف، أسهمت في خلق معاني جديدة استنادًا إلى تاريخ الثورة نفسه، الأمر الذي يجعل من الرواية متعة باضفاء أخيلة فنية، فيستخدم الحدث التاريخيّ تارة، والحدث الروائيّ تارة أخرى .

وباعتبار أن هذه الروايات تستلهم أحداث ثورة يوليو، وتجسد شخصياتها، إلا أننا لا نشعر بتاريخية الرواية، ولا نشعر بالحدود الفاصلة بين ما هو تاريخيّ، وما هو فنيّ، بل نجدهما تبعًا لبعضهما يمتزجان وينصهران معًا؛ ليكونا نصًا سرديًا يقول التاريخ بطريقة فنية لا تاريخية، فقد انتقل الكُتاب بالمادة التاريخية إلى مستوى السرد الروائيّ الذي يساعد التخييل على خلق تصورات جمالية، يقترب بها القارىء من الزمان والمكان، بل يجد لتخييله وجودًا واقعيًا يمثل واقع الثورة.

ولقد نجح الكُتاب في عرضهم للحدث التاريخيّ دون تشويه أو تزييف، فهم على اختلاف مشاربهم ورؤاهم عرضوا له من جوانب متعددة كملت بعضها البعض، وعبرت عن تنوع المضامين الفكرية، والاتجاهات الثقافية، وعليه تبقى خصوصية كل روائي في استلهام ثورة يوليو تميزه عن غيره، وإن تقاطعت في جوانب عديدة كُل حسب رؤيته معتمدًا على تقنيات شتى، وهذا بدوره يدفعنا إلى استخلاص الطرائق والتقنيات التي وظفها كل روائيّ؛ لنقف من وراء ذلك على كيفية استلهام التاريخ في الرواية من جوانبه كافة، ونقف أيضًا على مدى تفوق كل كاتب وتميزه عن غيره، وكل ذلك سيغير من نظرتنا إلى التاريخ من كونه مادة منتهية وجامدة إلى اعتباره ممارسة فكرية واعية في خدمة الحاضر، وفتح آفاق إيجابية من خلال النظر إلى السجل التاريخيّ بعين ناقدة واعية تجاه الأحداث.

والواضح أن الحدث يتنوع باختلاف الروايات والأحداث التي تستلهم تاريخ الثورة، ويشهد مزجًا بين نوعين من المرجعيات الواقعية والمتخيلة، وصناعة وتوليد الأحداث في هذه الروايات من أهم السمات التي يختلف فيها كل مبدع عن الآخر؛ بل هي القيمة التي تميز

كل عمل فنيّ عن غيره، من خلال اعتماد الروائيّ على أحداث تضمنية لسد الفجوات التي تخلفها الوقائع التاريخية، وأهم ما يميز الرواية التي تستلهم التاريخ، أنها لها طابعها الخاص الذي ينفرد به كل كاتب، وأنها تعتمد على مرجعيتين أساسيتين: الأولى مرجعية متصلة بحقيقة الحدث التاريخيّ، والثانية: مرجعية متخيلة تفرضها طبيعة الفن الروائيّ.

1 ـ المرجعية الحقيقية:

استند كل كاتب على أحداث تاريخية حقيقية تلون بألوان الخيال، إلا أن الروائيين حاولوا أن يقنعوا القارىء بأنها تعبير عن الواقع؛ إذ إنها تشكل رؤية جدلية تتكون من الفنيّ والتاريخيّ، وذلك لأن طبيعة الفن الروائيّ تفرض ذلك، فهي تبحث عن الجمال الإبداعيّ، وليس النقل الحرفيّ للواقع، وأبرز ما وظفه كل كاتب من أحداث متصلة بالمرجعية الحقيقية التاريخية هو استحضار وقائع ثورة يوليو التي مثلت منعرجًا حاسمًا في تاريخ الشعب المصريّ، حاول كل روائيّ دمج حقيقتها التاريخية مع أحداث خيالية عبر من خلالها عن حال الشعب المصريّ إبان الثورة؛ إذ جعل للحدث التاريخيّ حدثًا آخر روائيًا موازيًا له، ومن الأحداث التاريخية التي تطالعنا في الروايات: مثلًا في رواية (رد قلبيّ): نجدها تحتفي بالكثير من الأحداث التاريخية التي جسدت الواقع التاريخي قبيل الثورة، وفي أثناءها، وبعد جلاء الحكم الفاسد عنها، يقول الراوئي: " وكانت الحالة السياسية في مصر قد تحرجت، وبات الإنجليز يحسون أن الحكم في مصر، لم يعد بيده القوة التي تستطيع أن تملك زمام الموقف، وكان "علي ماهر" قد استقال وتولى الحكم بعد "علي ماهر" "حسن صبري"، ولم يطل حكمه، فقد وافته منيته في افتتاح البرلمان عام 1941. وخلفه حسين سري الذي استمر يحكم حتى شتاء 1942 .." [4]، أبان الكاتب من خلال المقطع السابق عن تأزم الحياة السياسية، واضطراب الحكم، وباعتبار أن "إحسان عبد القدوس" واحدًا من ضباط الجيش، فقد نجح في التأريخ للثورة، ورصد تحولاتها السياسية بمنتهى الدقة والمصداقية، فكانت روايته من أكثر الروايات التي تؤرخ للثورة، والتي يغلب الحدث التاريخيّ على بقية أحداثها الروائية الأخرى، نجد الروائي يتوقف عند كل حدث روائيّ، ويدعمه بالحدث التاريخيّ، فمثلًا يقول معلنًا نجاح حركة الضباط الأحرار: " وتوالت الأحداث في سرعة البرق، واستقر "نجيب" ـ القائد العام الجديد ـ في مقر قيادته، وتدفقت قوات الجيش تسيطر على مرافق البلاد، وتمسك بزمامه، دون أن تزهق روح، أو يراق دم. وهب المصريون من سباتهم صباح 23 يوليه، مشدوهين مبهوتين، وقد أحسوا أن كابوسًا انزاح عن كواهلهم.." [5]، هكذا عرض الكاتب للحدث التاريخيّ محللًا وعارضًا لأدق تفاصيله، بلغة وصفية معبرة عن مشاعر الشعب المصري .

أما في رواية (غروب وشروق) نجد الكاتب "جمال حماد" باعتباره واحدًا من الضباط الأحرار رصد الحدث التاريخيّ بكل تفاصيله الحقيقية، من خلال معالجة قضايا متعددة تتعلق بأحوال الشعب المصريّ قبل الثورة، فاستحضر قصصًا كثيرة تتضمن أحداثًا حقيقية افتراضية عن الظلم الواقع على الشعب المصريّ من رجال البوليس السياسيّ يقول الراوئيّ: " وكان سوء الحال في مصر وقتئذ قد بلغ المدى، وأخذت النفوس تغلي ضد المحتل الدخيل والملك الطائش، والحكومة المتواطئة مع أعداء الشعب، وخُيل للحكام أن في استطاعتهم إخماد روح التحرر بوسائل القمع والإرهاب، وإطلاق ذئاب البوليس السياسيّ المسعورة لمطاردة الأحرار ." [6]، هكذا عبر الكاتب مستعينًا بالوصف عن اشتعال الروح الوطنية في نفوس المصريين، واصرارهم على تحرير وطنهم من الحكم الفاسد، وهذا بدوره أضاف إلى القارىء إلى جانب المعرفة المتعة والتشويق في قراءة التاريخ .

ونجد رواية (السمان والخريف) تحتفي بالكثير من الأحداث التاريخية التي أوردها الكاتب في سياق حديثه عن المآساة الإنسانية للبطل "عيسى"، يسرد الكاتب الحدث التاريخيّ من خلال عرضه على لسان الشخصية المتخيلة، يقول "عيسى": " ـ يجب أن يذهب الإنجليز والملك والأحزاب وأن نبدأ من جديد...

ـ حريق القاهرة أثبت أن الخونة أقوى من الحكومة والشعب معا. " [7]، ويتضح أن الكاتب لا يسرد الحدث جافًا كما هو في كتب التاريخ، بل يستلهم شخصيات وأحداث متخيلة يسوق من خلالها الحدث الثوريّ، ويجعلها تقدمه في سياق روائيّ عبر عن رؤيته وإيديولوجيته الخاصة بلغة متصاعدة كان لها دورها في شد انتباه القارىء، وتشويقه لمعرفة بقية الأحداث.

وفي مشهد سرديّ آخر يقول "الباشا" للبطل "عيسى" عندما سأله عن أخباره عن الثورة: " ـ الحوادث أسرع من التنبؤ، كان يجلس مكانك منذ ساعة مستر جودوين الصحفي الإنجليزي وقد أكد لي أن الملك قد انتهى... " [8]، يتضح أن الكاتب اتخذ من الشخصيات الخيالية وسيلة يسرد على لسانها الحدث التاريخيّ بصورة مشهدية ، ويكشف لنا الكاتب ما يسعى بيانه من الأحداث على لسان شخصياته المتخيلة يقول "الباشا" ل "عيسى" في مقطع سرديّ آخر: " ـ قل في هذا اليوم ما شئت، أين الوزير؟ لا أحد يدرى، اختفى الأمن وزحف الشيطان..

ـ ترى هل مازالت النار مشتعلة؟! " [9]، يتضح أن الكاتب استعان بالحوار في سرد الكثير من الأحداث التاريخية، من أجل التأكيد على وقوع الأحداث من جهة، وعلى تخفيف دور

الراوي في السرد، وإعطاء النص حركة ونشاطًا من جهة أخرى كما أنه ساعد في جريان الأحداث وتطورها .

وفي رواية (الحياة فوق الضباب) شكل الحدث التاريخيّ مرجعًا مهمًا اعتمد عليه الكاتب وعالجه على حسب طريقته الفنية التخيلية، إلا أن لهذا الحدث مرجعية تاريخية حقيقية كانت الأساس في السرد، منها استحضار موقف الإنجليز والأحزاب السياسية خلال الثورة يقول الراويّ: " والانجليز أصبحوا حريصين على الإنزواء في منطقة القناة، والأحزاب السياسية كلها مفتتة، حتى الحزب المحترم حزب الوفد، أصبح كأنه دكان في سوق الكانتو يتاجر في الملابس القديمة، وقوة البوليس أصبحت مفتتة، وقوة الجيش أكثر تفتيتًا .. " [10]، وهكذا يجسد الكاتب الحدث مصحوبًا برؤيته التي حملت مضمونًا دلاليًا، واصفًا تدهور الحكم، وتفتت الأحزاب بلغة فنية قادرة على بعث الحدث في نفس القارىء، ومعايشته له كما لو كان معاصرًا له.

ويستطرد الكاتب في سرد أحداث الثورة، وما أعقبها من قرارت كانت لها صداها في تغيير وجهة المجتمع المصريّ، ورفع الظلم عن شعبه، ومن هذه القرارات قانون " تحديد الملكية" والقضاء على الإقطاع يقول "منير": " وقد سمع أن الثورة ستحدد ملكية الأرض بثلاثمائة فدان، ولن تكون هذه الثلاثمائة فدان ملكًا لهم جميعًا بل سيكون كل واحد فيهم مالكًا لثلاثمائة فدان .. " [11]، يتضح أن الرواية رصدت الحدث التاريخيّ على لسان الشخصيات المتخيلة، مما أضفى على الحدث قيمًا معرفية وجمالية، كان لها آثرها البالغ في تشويق القارىء وإثرائه بالمعلومات التاريخية في صورة جمالية .

أما في رواية (1952): استقى الكاتب مادته الروائية من حدث ثورة يوليو، فدخل الحياة الاجتماعية التي عاشها المصريّ في قرية "عويس" ورصد أحوال أهلها إبان الثورة، وعمد إلى الخيال المؤطر بالحقيقة والواقع؛ ليقترب بالخيال من الواقع، وتخلل السرد أحداثًا تاريخية كانت بمثابة الدافع الحقيقيّ لجريان السرد، وتطور الأحداث، يعرض الراويّ أحداث معركة القنال، يقول: " هاجمت قوات الاحتلال بقيادة الجنرال اكسهام مبنى المحافظة في الإسماعلية في الساعة السادسة صباحًا والناس نيام، وقدمت انذارًا لقوات البوليس وبلوكات النظام تطالبها فيه بضرورة الانسحاب واخلاء المبنى وتسليم الأسلحة لقوات الاحتلال ... " [12]، ومن المقطع السابق يتضح أن الكاتب يقدم المعلومة التاريخية كتكملة للمشهد السرديّ دون تكلف أو قصد، وإنما يبثها كتكملة للمشهد السرديّ مما ينم عن واقعية الأحداث، وهذا يؤدي إلى تحقيق السرد غايته المرجوة وهي الصدق الفنيّ دون تزيف الأحداث التاريخية .

ولم يتوقف رصد الحدث عند هذا الحد، بل يتجاوزوه حد تحري الدقة في تحديد زمن وقوع الحدث، ويصف من خلال الحدث حال الأسرة المالكة وقت وقوع الثورة يقول الراويّ: " طوال يومي الأربعاء والخميس كانت العائلة المالكة بأكملها يسودها الإضطراب والخوف من تكرار مآساة الخديو توفيق ودخول الإنجليز إلى القاهرة، وبحلول يوم الجمعة كانت الأمور قد اتضحت، ضباط الجيش لهم مطالب تخص الجيش.. " [13] ، ويتضح أن الكاتب تحرى الدقة في رصد الحدث، كما أنه عمد إلى تجسيد انعكاس الحدث على الشخصيات، ووصف مشاعرهم وهواجسهم، والتي ليس بمقدور علم التاريخ الإحاطة بها، وهكذا انفردت الرواية بتجسيد أحوال الشخصيات التاريخية.

وهناك طريقة أخرى يقدم بها الكاتب المعلومة التاريخية، وهي عرضها " من خلال انعكاسها على تصرفات الشخصيات، وسلوكياتهم، وظهورها في حوارهم، وتعد هذه الطريقة من أكثر الطرق انسيابية في عرض المعلومة، حيث الشخصيات هي التي تتأثر وتحكم وتعاني وتفرح دون تدخل سارد " [14]، ومثال ذلك سرد الكاتب للحدث التاريخيّ مصحوبًا بصداه على الشخصيات يقول السارد: "هبت الأميرة جويدان من فراشها، وهرعت إلى البهو. رأت الوصيفات يمزقن ملابسهن ويندبن والرجال يبكون . ماذا حدث؟! ماذا جرى؟! لحقت بها أمها. يبكون. يصرخون، يرتمون على الأرض في جنون، لكنهم لا يتكلمون . صراخهم الذي يهز القصر أثقل من صمت القبور، لا يفصحون . وجاءت الإجابة من المذياع الصغير، وصوت المذيع يعلن: تنازل جلالته عن العرش لولي العهد سمو الأمير أحمد فؤاد الثاني، وغادر البلاد على يخته المحروسة في الساعة السادسة مساء ." [15]، هكذا اعتمد الكاتب على أدواته الفنية في تشكيل الحدث، وعرضه من خلال الشخصيات المتخيلة وتصوير ما انتابهم من مشاعر القلق والحزن وقت تنازل الملك عن العرش، وهذا بدوره يؤكد على مدى حرص الكاتب على تحقيق مصداقية الأحداث، وتشكيلها بصورة فنية استطاعت أن تغزو عقل القارىء وتنمى معرفته بالأحداث بصورة مشهدية، إلى جانب ما تركته في نفسه من قيم جمالية انفرد بها الفن الروائيّ.

ولقد قدم الكاتب الحدث التاريخيّ مصحوبًا بموقفه منه، وعالجه من منظور إيديولوجيته ومن خلال بطله الثائر، يقول الملازم أول صلاح فهميّ باعتباره أحد المناضلين، وقد اختاره جمال عبد الناصر؛ ليكون معه في مكتبه:

" ـ حضرة البكباشي جمال عبد الناصر طلبني!

علم القصة من الرفاق. صدفتان أنجحت الحركة، تسرب خبر الحركة بواسطة القائم مقام محمود فهمي إلى اللواء حسين فريد وجمعة لضباط القيادة، والصدفة الأخرى تحرك البكباشي يوسف صديق بكتيبة مدافع في الساعة الحادية عشرة بدلًا من الساعة الثانية عشرة، وفي طريقه إلى مبنى القيادة العامة .. " [16]، وهكذا تكفل السارد بتقديم التاريخيّ، عن طريق تحويله إلى أحداث روائية فرعية، بث فيها أفكاره، ورؤاه التي حملت بين طياتها مضامين فكرية نجحت في نقل الحدث التاريخيّ بصورة مبسطة تستوعب كافة المستويات الفكرية للقراء، من خلال تحليله للأحداث بتفاصليه الدقيقة التي ساهمت في زيادة الوعي التاريخي، وبثه بصورة مشهدية مكنت الكثير من التعرف علي أحداث التاريخ .

ويستطرد الكاتب في سرد حوادث التاريخ، مستعينًا بالوصف في تجسيد حدث سيطرة الضباط الأحرار على البلاد، وتقلدهم زمام الحكم، ولقاء اللواء "محمد نجيب" بالشعب المصري بعد جلاء الحكم الملكيّ، يقول الروايّ مستدعيًا الحدث في صورة مشهدية معبرة: " بسمة اللواء محمد نجيب لها سحر في النفوس. كلماته حنونة دافئة ومن قلبه صادرة. واشارات يده وهو يلوح بعصاه للجماهير نداءات محبة. وجهه الأسمر الوسيم المليء بالرجولة والصدق جملة أيا لكل المصريين والسودانيين... " [17]، ونقف من خلال المقطع السابق على مدي ماحققه الوصف في تجسيد الحدث، بصورة حية عكست للقارىء ملامح الشخصية، ونقلت إليه شعور الشعب المصري بفرحة النصر، واعتزازهم برجال جيشهم الأبطال، الذين طالما دافعوا عن وطنهم ضد أي دخيل أو مستبد، وبذلك يزداد الإيمان بالوطن، وبقوة جيشه وشعبه .

2ـ المرجعية المتخيلة:

لا يخلو أي عمل روائيّ من أحداث ووقائع سواءً أكانت حقيقية أو افتراضية، ولقد استلهمت الروايات ذات الطابع التاريخيّ من المتخيل الروائيّ، ونهلت منه لملء الفجوات التي يخلفها سرد الوقائع التاريخية، وهذا ما انتهجه الروائيون عندما ضمت رواياتهم ذات الطابع التاريخيّ قصصًا فرعية تروي أحداثًا متخيلة، عاطفية ويومية واجتماعية وغيرها، ويعد التخييل أساسًا في العملية الإبداعية، إذ أن التجرد منه ينفي عن العمل الأدبيّ فنيته، ويظل المتخيل غير منفصل عن الواقع إذ أن " النص الأدبيّ مزيج من الواقع وأنواع التخييل، ولذلك فهو يولد تفاعلًا بين المعطى والمتخيل، ولأن هذا التفاعل ينتج شيئًا أكثر من الفرق بين المتخيل والواقع، فيستحسن تجنب التعارض القديم بينهما، واستبدال هذه الثنائية بثلاثية الواقعيّ والتخييليّ (وما نسميه من الآن فصاعدًا) بالخياليّ، وانطلاقًا من هذه الثلاثية ينشأ النص " [18] .

وقد اتبع الروائيون أساليب عدة في عرض الحدث الواقعيّ التخييليّ، منها: أسلوب التضمين: وهو من الأساليب القديمة، والأكثر توظيفًا في بناء الحدث في الرواية التاريخية العربية؛ لقابلية هذا الأسلوب وطواعيته على سد الفجوات الزمنية الحاصلة بين الأحداث الروائية، وبين الأحداث التاريخية، فإن كان المؤرخ يقوم بتدوين الوقائع التاريخية الكبرى، والخطوط العريضة منه، فإن الروائيّ التاريخيّ بوصفه فنانًا يقوم برتق تلك الفجوات، بما يهيئه له خياله من أحداث (غير تاريخية) على شكل قصص مضمنة للأحداث التاريخية الرئيسة، وغالبًا ما يكمن المضمون قصص غرام، وعلاقات اجتماعية، وأحداث يومية .

ومن مبررات اللجوء إلى هذا النسق في توظيف الأحداث التاريخية فعاليته في بعث التشويق، وإبعاد الملل عن القارىء عبر التناوب في سرد الأحداث، والانتقال من مستوى إلى آخر، فيلجأ الكاتب عن طريق قصة ثانوية مضمنة بعيدة عن الإطار التاريخيّ، ووقائعه، فقد أصبح التضمين في الرواية التاريخية فاعلًا ومؤثرًا في بناء الحدث؛ إذ إنه يسهم في بناء الحدث العام ويدعمه، وأبرز ما استند عليه الروائيون من مرجعيتهم الذاتية المتخيلة:. في رواية (رد قلبي) قصة الحب العميقة التي جمعت بين "عليّ" و"أنجي"، والتي اتخذ الكاتب منها وسيلة لسرد الحدث التاريخيّ، وجعل معاناة "عليّ" تعني معاناة الشعب المصريّ، و"أنجي" جعلها ترمز إلى مصر، التي استردها المصريون بمجرد وقوع الثورة، فجاءت الرومانسية الواضحة في أرجاء الرواية، إلا أن التاريخيّ يتوازي معها من خلال تصوير طبقات المجتمع المصريّ، ومعاناتهم وما يدور في نفوسهم تجاه الحوادث التاريخية، فالكاتب ضابط وأديب مثقف مزج بين ما هو خياليّ وما هو تاريخيّ في تناغم تام، وأحيانًا يغلب الخيال على معالم الحقيقة، ليضفي الخيال رونقه، ويفسر من خلاله الواقع ويحلله، ويعلو به حد المثالية المطلقة في تجسيد وقائع التاريخ، وقد عبر الكاتب في كثير من المشاهد عن هذه العلاقة الرومانيسية نجدها مثلًا في الحوار التالي بين "عليّ" و"أنجي" : " ـ لست أرى شيئًا يمكن أن يوقف أملنا أو يضيع الرجاء.

ـ ولا سدود التقاليد والفوارق الطبقية؟ وحتى الموت لن يفرق بيننا، سأحبك حتى بعد الموت. فإن حبك أبقى في روحي من الروح الباقية . " [19]، يتضح أن الكاتب خلق قصة خيالية مقنعة فنيًا بدورها في سرد الحدث التاريخيّ، مما جعل القارىء يشعر بإمكانية حدوثها؛ لتماثلها مع واقع الحياة الذي يحياه البشر بالفعل، وهذه مهمة الكاتب الناجح الذي يستطيع أن يقنع القارىء بواقعية الأحداث

ويمتزج الخياليّ بالتاريخيّ أيضًا عندما يتقابل البطل "عليّ" مع الملك "فاروق"، فعليّ كُلف بارسال مدفع خفيف وصل إلى السواري ليعرضه على الملك في قصر رأس التين،

ويسرد الكاتب أن "علي" سر من ذهابه إلى الإسكندرية لأن الفرصة قد واتته لمقابلة "أنجي"، يقول الراويّ عارضًا لمقابلة "عليّ" بالملك: " ولم يكن "عليّ" يتصور قط أن يراه وجهًا لوجه، فقد كان كل ما يتوقعه أن يسلم المدفع لأحد الأمناء، ورحب به "الملك" بصوت جهوري، وأقبل على المدفع يفحصه فحص عارف خبير، ثم طلب منه أن يتركه ويتفضل .. " [20]، هكذا امتزجت الشخصية الخيالية بالشخصية الواقعية، عرض الكاتب الحدث من خلالها بعض من صفات الملك التي ستزيد المعرفة عند القارىء بالشخصية التاريخية وستضفي على الأحداث المتعة والتشويق .

ويقتحم الروائيّ واقع المجتمع المصريّ، ويسلط الضوء على معاناة الذات الفردية التي اتسمت بالانكسارات والإخفاقات لرغباتها الذاتية، فنجد الأمير "إسماعيل" والد "أنجي" يسخر من "عليّ" أنه ابن جناياني، أن يحب ابنته، ويرسل لها خطابات غرامية يقول: " ـ هؤلاء الناس لا شك في أنهم قد جنوا، الأب يتقدم لخطبتك، والابن يكتب إليك رسائل غرام، كأنما نسى أنه ابن الجناياني، وكأن "الدبورة" التي قد وضعها على كتفيه قد محت ضعة أصله، وأزالت غضاضته، ولكنك أنتِ المسئول عن ذلك، أنتِ التي شجعته على هذا التطاول، ولكن سأعرف كيف أوقفه عند حده، سأعرف كيف أخرب بيته وأضيع مستقبله ." [21]، وهكذا مثل الكاتب الصراع الطبقيّ خير تمثيل، ووقف من خلال قصة الحب التي ابتدعها على معاناة الشعب المصريّ من الفوارق الاجتماعية، وسوء معاملة الطبقة الحاكمة لطبقة الفلاحين، وحرمانهم من حقوقهم المشروعة في الحياة، الأمر الذي ألح على المصريين، وآثار حميتهم بضرورة استرداد حقوقهم المسلوبة، والحفاظ على كيانهم .

أما في رواية (غروب وشروق) نجد الكاتب باعتباره واحدًا من الضباط الأحرار يخلق قصة خيالية يسرد من خلالها وقائع فساد الحكام في مصر، فقد تعرض الطيار "سمير" زوج "مديحة" ابنة رئيس البوليس السياسيّ للقتل على يد صهره "عزميّ" باشا، وأراد زملائه "امين" و"عصام" أن يثأروا له، ولكثير من ضحاياه الأبرياء فدبروا له الحيل والمكايد لينتقموا من الطاغية "عزميّ" باشا، وكانت هذه القصة هي المحرك الفعلي لسريان الأحداث التاريخية وتطورها، يقول الروايّ "أمين": " وأخذت أشرح لعصام هذه الفرصة الذهبية التي نستطيع بها أن نتوج خطة انتقامنا لصديقنا الراحل سمير الذي لقى مصرعه بسبب هذه الأسرة الباغية، كما ننتقم لمئات الأبرياء الذين ذاقوا الويل والنكبات على يد هذه الطاغية " [22]، يتضح أن الكاتب اتخذ من الحدث الروائيّ السابق دافعًا قويًا لثورة الشخصيات على النظام الفاسد، وفعلها كل ما بوسعها كي يقضوا على الملك وأعوانه .

ويستعين الكاتب أيضًا بمشهد استرجاعيّ بغية الوقوف على أسباب الثورة ودوافعها، فقد تراكمت لدي الشعب المصريّ مبررات كثيرة تفضي إلى الثورة والاحتجاج على ما ارتكبه الملك وأعوانه، كما مثلت حرب فلسطين عام 1948 حافزًا للثورة؛ بأنها كانت سببًا في احتلال فلسطين، كما كانت قضية الأسلحة الفاسدة سببًا في هزيمة المصريين، يقول الطيار "أمين عاكف" مسترجعًا حديث قائده في حرب فلسطين: " وأعادت كلماته القوية، وعباراته الملتهبة التي عقب بها على حديثي ثقتي القديمة بقائدي السابق الذي طالما أشعل في صدورنا الحماسة والغيرة على وطننا خلال معاركنا في حرب فلسطين، والذي كثيرًا ما آثار مشاعرنا ضد المسئولين الذين استهانوا بأقدار الوطن فأرسلونا إلى المعركة بهذه الطائرات العتيقة، وتلك الأسلحة الفاسدة " [23]، هكذا خلق الكاتب الحدث الروائيّ ليلقي الضوء من خلاله على الأسباب التي أدت بالمصريين إلى الثورة على النظام الملكي، واتخذ من تقنية الاسترجاع وسيلة في سرد التاريخ الماضيّ باعتباره أنه سببًا فيما هو واقع في الحاضر .

أيضًا يقف الكاتب عند كل ما تسبب في وقوع الثورة، ويصيغ لنا أحداثًا مريبة عن الصاغ "إبراهيم سالم" نائب رئيس البوليس السياسيّ، وظلمه واستبداه وتعذيبه للأبرياء دون وجه حق يقول الراويّ: " وأضحى بفضل هذه الجرائم ذا مركز خطير بين رجال البوليس السياسيّ، فهو أداة البطش التي تتكل بأعداء رئيسه وهو جلاد الشعب الذي تجري على يديه أبشع عمليات التعذيب في ظلمات السجون والمعتقلات، وكانت له صلات مريبة بالإنجليز، وزيارات متبادلة تحت جنح الظلام مع بعض رجالهم تفوح منها رائحة الخيانة. واستغل اللواء عزميّ ما يتمتع به من خصال ذميمة باستخدامه أسوء استخدام في تدبير المؤمرات والتنكيل بالأحرار، وراح يطلقه كالكلب المسعور على كل من يعترض طريقه؛ لينشب فيه براثنه دون رحمة أو شفقة " [24]، هكذا صاغ الكاتب ما يقوم به الحكام من تعذيب وتنكيل، وذلك في سياق الحديث عن "عصام" الذي زوجه اللواء "عزميّ" من ابنته "مديحة" رغمًا عنه، بعد قتله لزوجها الأول "سمير"، فخاف صديقه "أمين" عليه، وسرد أحداثًا تاريخية قد تتورط فيها الشخصية الخيالية .

وفي المقطع التالي يدمج الكاتب الحدث التاريخيّ بالحدث الروائيّ، ويكشف عن تدهور العلاقة بين "الملك" و"عزميّ" باشا، وأن الملك تخلى عنه بعد افتضاح جرائمه التي ارتكبها في حق الكثير من أبناء الشعب المصريّ يقول الراويّ: " ولم تكن ثقة الملك في اللواء عزمي خلال الفترة الأخيرة كسابق عهدها بعد أن توالت هزائمه، وانكشفت مؤمراته، وثبت عجزه، وهكذا وجد أن الموقف يتطلب ضرورة اختفاء عزمي من على مسرح

الحوادث، فقرر عزله من منصبه، وابعاده في الحال إلى الخارج ... " [25]، والواضح أن الكاتب حرص على إبراز الحدث في صورة حقيقية، فتحدث عن تطورات العلاقة بين الملك، ورئيس البوليس السياسيّ، ليكشف من وراء ذلك عن إهمال الحاكم وغفلته عما يدور في بلاده، واختياره لعناصر فاسدة تقوم بجرائم بشعة في حق الشعب والإنسانية .

وينتهي الكاتب بإسدال الستار على هذا الطاغية، ويصيغ لنا حدثًا آخر، وهو محاكمة رئيس البوليس السياسيّ، فيقول الروايّ ما جرى في المحكمة أثناء معاقبة اللواء "عزمي"، والحكم عليه بالسجن سبع سنوات: " وكان الجميع مشدوهين من هول ما سمعوا، فلم يكن يخطر على بالهم أن يصل الأمر يومًا ما بهذه الطبقة الحاكمة إلى التردي بهذه الصورة المنكرة في حمأة الرذيلة، وأن يتمرغوا في أحوالها إلى هذا الحد الشائن، ولم يقع في حسابهم أن يأتي يوم يشهدون فيه رئيس البوليس السياسيّ يترك واجبه في المحافظة على الأمن والسهر على سلامة الدولة كي ينافس المجرمين في ارتكاب أحط الجرائم، وابتداع أشنع الأساليب للزج بالأحرار في أعماق السجون " [26]، هكذا استطاع الكاتب أن يصيغ نهاية "عزميّ" باشا، بوقوع الثورة، ونيل المصريين منه جراء جرائمه من ظلم واستبداد وقهر وتعذيب لضحاياه الذين لم يسلموا منه، فجاءت الثورة وثأرت لهم، وحررتهم، وقضت عليه، وقد انعكس هذا على القراء، وجعلهم يشعرون بعظمة ضباط مصر الشرفاء الذين حرروا شعبها من ظلم الحكام، وفسادهم .

وفي رواية (السمان والخريف) يصيغ الكاتب الحدث على لسان "عيسى" الذي هزمته الثورة، وقطعت كل آماله في الحياة بعدما أقصته الوزارة باعتباره واحدًا من الفاسدين المرتشين الذين فضحتهم الثورة وقضت عليهم يقول الراويّ: " وكانت الوزارة قد أقيلت فأقصته الوزارة الجديدة فيمن أقصت من موظفين عن الوظائف الرئيسية وبخاصة من كانت لهم علاقة بمعركة القنال .. " [27]، من هنا يتأكد لدينا أن الخيال كان يوازي التاريخ وأن الكاتب اتخذ من شخوصه المتخيلة نموذجًا واقعيًا من المجتمع المصري، ليقرب الأحداث من القارىء، ويجسدها له في صورة مشهدية كما لو كانت ماثلة أمام عينيه .

ويتفاعل الخيال أيضًا مع الحدث التاريخيّ، فيختلط الخيال والواقع التاريخيّ، ويمتزجا معًا وينسجا سردًا تاريخيًا فنيًا استطاع أن يقنع القارىء بحدوثها، فخرجت المشاهد في الرواية بطريقة مختلفة، وأصبحت جزءًا ضروريًا من الرواية، يتضح ذلك من الحوار التالي الذي دار بين "عيسى" وأحد موظفي لجنة التطهير التي أقامتها الثورة: " ـ أرجو أن تطمئن كل الاطمئنان إلى عدالتنا فهي لا تبتغي إلا وجه الحق وحده.

فقال بهدوء باسم ليستر يأسه:

ـ لا شك عندي في ذلك.

ـ وأحب أن تعلم أن المهمة التي كُلفنا بها غايتها المصلحة العامة لا الانتقام ولا أي غرض آخر " [28]، هكذا صاغ الكاتب الحدث الراهن للثورة بصورة مشهدية عكست لنا ما تلى الثورة من وقائع اتخذها الجيش رغبة منهم في تخليص البلاد من كل عناصر الفساد، ومحاسبة كل المسئولين الذين اختلسوا المال العام، وتقاضوا الرشوة مما يؤكد على الدور البارز للرواية في تمثيل التاريخ خير تمثيل، والوقوف على تجلياته الحاسمة وهذا كله أمد القارىء بمعرفة الأحداث الثورية، ومعايشته لها .

ويحيط الكاتب بكل الأحداث التي لحقت بالبطل "عيسى"، ويتطرق إلى حدث آخر، وهو إقالته وإحالته للمعاش، وهذا بالفعل ما اتخذته الثورة تجاه كل عناصر الفساد في عهد "فاروق"، يقول الراويّ: " واستدعاه مراقب المستخدمين ليبلغه قرار إحالته إلى المعاش مع ضم سنتين إلى مدة خدمته. وهو نفس المراقب الذي كتب مذكرات ترقياته الاستثنائية التي توجت بترقيته إلى الدرجة الثانية ... وسأل عن مقدار معاشه فأجاب المراقب:

ـ اثنا عشر جنيهًا ولكنك ستقبض مرتبك كاملًا لمدة عامين .." [29]، هكذا خلق الكاتب الشخصية الخيالية، وبث من خلالها الحدث التاريخيّ، فجعلها تجسد وقائعه، وتقوم بدور الواقع عليه الحدث كما هو في الواقع، مما جعل القارىء يتعايش مع الحدث، ويشعر بما تعانيه شخصياته، وهذا يحسب للفن الروائيّ، ويميزه عن التاريخ، إذ إنه قادر على صياغة التاريخ بكل تداعياته كما أنه ينفرد بالتعبير عن المعاناة الذاتية للشخصيات جراء الأحداث التاريخية.

ومن خلال شخصية البطل "عيسى" صاغ الكاتب الحدث المستلهم لتاريخ الثورة، فنجد "عيسى" يقف من خلال تجربته الذاتية على ملابسات الثورة، ويصف لنا تجلياتها من خلال وجهة نظره، يقول: " ـ حتى على فرض أننا أخطأنا، ألم يجدوا في ماضينا ما يشفع لنا؟! وأغمض عيسى عينيه ليرى الماضي. فترة حية من نبض القلب. هدير المجد يخلد في الأسماع. وهراوات الجنود كالصواريخ، والحماس المهلك للأنفس. ثم الإغراء الموهن للهمم. وزحف الفتور كالمرض. ثم الزلزال دون نذير كاب. ونشدان العزاء عند قلب أجوف، ثم صرير التليفون كصوت العدم.

وقال سمير عبد الباقي أيضًا:

ـ كنا طليعة ثورة فأصبحنا حطام ثورة! " [30]، ومن خلال المقطع السابق ينصهر الحدث التاريخيّ مع الحدث الروائيّ، ويقتحم الكاتب عالم الشخصية الخيالية ويشيد من خلالها

تصوراته وتحليلاته الذاتية عن الثورة ورجالها، من دون أن يزييف الحقائق أو يحرفها، بل نجده يصيغ الحدث من خلال الشخصية بلغتها المعبرة عن الحدث التاريخيّ .

ويُصهر الكاتب بين الحدث التاريخيّ، والحدث الروائيّ موضحًا آثر الحدث في نفس الشخصية، وناقلًا انعكاساته عليه، فالبطل على الرغم من تخلي الثورة عنه، واعتبارها له من فسدة العهد الملكيّ، إلا أنه وطنيّ، يقول الراويّ: " وانطلقت الأحداث حتى غادر الملك البلاد، وشهد عيسى ذلك في الإسكندرية، ورأى بعينه تحركات الجيش، كما رأى المظاهرات الصاخبة، وعانى طوال الوقت من عواطف متضاربة أطاحت به في دوامة مالها من قرار، شعر بفرحة كبرى عزت على التصديق والتأمل، وشفت صدره من آلام المقت المكبوت .. " [31]، ونتأكد مما سبق أن الكاتب نجح في استلهامه الحدث الروائيّ، وفي تسليط الضوء على الذات الإنسانية من خلال بطله الخياليّ الثائر، الذي عبر عن نفسيته القلقة المتمردة على الواقع، وانطلاقًا من هذا ترى الباحثة أن الروايات التي تستلهم التاريخ قد انفردت بتجسيد الأحداث التاريخية من خلال أشخاص خياليون مثلوا العديد من النماذج البشرية التي أغفلها وتغاضى عنها التاريخ بحكم موضوعيته، وسرده الجاف، مما يتيح للقارىء الإطلاع على كوامن النفس البشرية، وسبر أغوارها؛ لمعرفة نوازعها وهمومها، الأمر الذي يجعله يقف من الأحداث التاريخية موقفًا مغايرًا .

أما في رواية (الحياة فوق الضباب) نجد الكاتب نجح في أن جعل من الأحداث الروائية وسيلة في سرد الحدث التاريخيّ، ويتجلى ذلك واضحًا في العلاقة الرومانسية التي ساهمت في بناء الحدث التاريخيّ، فهي الخيط الرابط بينها، والسبب الدافع في حركتها، فقد أحب "منير" ابنة أحد الباشوات" دلبر" أخت صديقه "كمال"، الذي على الرغم من أنه صديقه، وايمانه بضرورة إزالة الفوارق بين الطبقات إلا أنه رفض زواجه من أخته حتي تقوم ثورة وتزيل الفوارق بين الشعب، وقد ساعد الحوار التالي بين الشخصيات المتخيلة على الربط بين الحدث الروائيّ والحدث التاريخيّ، فكلاهما متوقف على الآخر، يقول "كمال" ردًا على "منير" عندما طلب الزواج من أخته: " ـ إني مقتنع بالماركسية ولكني لا أعيشها، إني لا أزال أعيش المجتمع الطبقي بكل ما فيه، أعيش في قصر الروزنامجي، في انتظار أن تقوم الثورة الماركسية الشاملة، وبعدها أعيش.. أعيش الثورة.. وتستطيع أنت ودلبر أن تنتظرا الثورة ثم تتزوجا بعدها !.. وصاح منير كأنه لم يعد يحتمل:

ـ إن هذه الثورة لا تزال وهمًا، ونحن لا نستطيع أن نعتمد على الأوهام، نريد أن نعيش ونتزوج " [32] ويبدو أن هذا الحدث الروائيّ يسير جنبًا إلى جنب الحدث التاريخيّ من دون أن يزيف الحقائق، بل نراه يدعم الحدث التاريخيّ، ويؤيده، فمصير الشخصيات وتحقيقها

أحلامها متوقف على وقوع الثورة، وقد أثبت الكاتب ذلك، ورصد تنبؤ الشخصيات وترقبها بوقوع ثورة تزيل الفوارق وتحقق حلم الشخصية وأملها في الحياة .

أما رواية (1952) رواية واقعية، صاغ الكاتب أحداثها قبل ثورة يوليو، حيث يسود النظام الإقطاعي، وينتشر الفقر والبؤس بين طبقة الفلاحين في عزبة عويس بالجيزة، ويصف الكاتب فيها قصور الأسر المالكة وحياتهم، وامتلاكهم لأراضي الفلاحين، حيث اللواء عويس باشا الذي تخضع له العزبة، والعمدة (حمادة أبو جبل) الذي ينفذ أوامره ويقوم بالبطش بالفلاحين، وتنتهي أحداث الرواية بقيام الثورة، والقضاء على نظام الإقطاع، وتقسيم الأراضي على الفلاحين، وقد استلهم الكاتب العديد من المشاهد المتخيلة التي تحاكي الواقع التاريخيّ، منها ما أورده الروايّ من مظاهر ظلم وقهر اللواء "عويس" لأهل القرية: " والمزارعون من أهالي عزبة عويس يستمعون إليهم ويتوجسون شرًا خوفًا من استيلاء اللواء عويس باشا على المساحات القليلة من الأراضي المتبقية لهم كنتوءات صغيرة وسط زمام الباشا لإقامة المصنع عليها ... فقد جلد كرامة ابن السقا بالسوط السوطاني بيده مائة جلدة على ظهره، حتى الطيور لم تسلم من ظلمه، فقد شوى البغبغان حيًا بريشه وأكله، وذبح القرد المسحور وسرق كنوز الناحية، ونهب الأهرامات " [33]، والواضح أن الكاتب استفاد من الإطار العام للحدث التاريخيّ، ووظفه بما يتلائم مع واقع الأحداث، فاستدعى له الشخصيات الخيالية، وبعث فيها الحركة والنشاط؛ ليحاكي الواقع التاريخيّ، ويقف من ورآه على كل دوافع الثورة وكوامنها التي مثلت الصرخة الكبريّ للواقع المرير الذي عاشه الشعب المصريّ قبيل الثورة .

ويخرج الحدث التاريخيّ أيضًا عن طريق تداول أكثر من شخصية على سرده، أو سرد الخبر من أوجه مختلفة، وعلى لسان شخصيات عديدة، رغم أن وراءها سارد واحد، وكمثال ذلك مادار بين "عكاشة" المغناوتي، وبين أحد الشباب المناضل، والذي أصيب في حرب الإسماعلية، فأراد أن يثأر من الإنجليز، وطلب من "عكاشة" أن يقوم بحركة مناضلة، ويقتل مجموعة من عساكر الأنجليز، ولم يتردد "عكاشة" وبالفعل نجحت الخطة، وانتهت بمقتل "عكاشة"، ودار بينهما الحوار التالي: " عساكر الانجليز قتلت نساء وأطفالًا وشيوخًا وهدت عزبًا وكفورًا.

قال عكاشة غاضبًا:

ـ الثأر.

قال الشاب له: ـ نهدم المحطة على من فيها من انجليز. نمنع عنهم الكهرباء، ونعطل لهم محطة اللاسلكي.

قال عكاشة موافقًا: واجب .. " [34]، هكذا جاء الحدث كرد فعل طبيعيّ لتمرد الشخصيات، وتطلعها إلى دفع الظلم والاستبداد عنها، ورغبتها في تحقيق الحرية والعدالة، وقد لعب الحوار دورًا مهمًا في صياغة الحدث فمن خلال ما دار بين الشخصيات، استطاع الكاتب أن يوازي بين ما هو تاريخيّ، وما هو فنيّ؛ لكي ينزع عن نفسه المسئولية أمام القارىء وأمام التاريخ، وكل هذا أضفى على الحدث أبعادًا دلالية حققت للقارىء المتعة والتشويق .

وترى الباحثة أن الكاتب انتهى في صياغة أحداثه بحدث الثورة، ولكنه استطاع أن يجعل من الثورة نهاية لمأساة شخصياته الذين عانوا من ظلم الحكم الفاسد، وصنع حدثًا روائيًا موازيًا للحدث التاريخ، ومترتب عليه، فبمجرد وقوع الثورة استردت الشخصيات حريتها، وكرامتها، فهذا "كرامة" الذي ذاق ويلات الجلد والتعذيب على يد اللواء "عويس" تثأر له الثورة ممن ظلمه، يقول الراوي: " من كان يظن أن الملك يسافر مطرودًا إلى غير رجعة ويتنازل عن العرش إلى ابنه الأمير أحمد فؤاد. يدور كرامة ابن السقا في العزبة متأبطًا صحف الصباح التي تصل متأخرة، ملتهمًا كل سطر منها باحثًا عن أخبار قاتلة اللواء عويس باشا وصحبه فرحًا لما جرى لهم، وقد اعتقلتهم حركة الجيش وزجت بهم في السجون. " [35]، نلاحظ اندماج بين الحدثين: الحدث الروائيّ والحدث التاريخيّ، ويتم تداخل وتفاعل بين الحدثين يُسهم في بناء الرواية، فالأحداث الروائية يتحدد مصيرها بوقوع الحدث التاريخيّ، وكل هذا كان له وقعه في نفس القارىء .

وأخيرًا نقول أن الحدث الثوريّ في الروايات التي تستلهم التاريخ قام على أنساق بنائية ساهمت في توزيعه بشكل منطقيّ، وهذه الأنساق، هي النسق التتابعيّ، والنسق التضمينيّ، والنسق الدائريّ، دارت الأحداث من خلالها " بطريقة تصاعدية تجعل المتلقي محتاجًا إلى خاتمة تاريخية تحسم الموقف، وتكشف النهاية، وفي هذه الحال يبلغ الصدق الفنيّ في تمازجه بالصدق التاريخيّ مرحلة متقدمة " [36]، ولكي يجنب الكُتاب نفسهم من الوقوع في تطبيق التسجلية التاريخية، ويُعطي للنص مصداقية فنية، " من هنا جاءت الأحداث ممشهدة عبر وجهات النظر العديدة، وممزوجة مع الخطاب التخييليّ ضمن خصوصية لغة، ومنظور كلا الخطابين، وذلك من خلال اللعب الحاذق على المونتاج السينمائيّ الذي نسق بين التاريخ والتخييل، عبر تجزئة الأحداث وتقديمها وترتيبها في مشاهد، ضمن إطار التوازي الذي يزاوج بينهما " [37]

الخلاصة:

وبناء على ما تقدم نجد أن هذا أبرز ما استلهمه الروائيون واعتمدوه من أحداث حقيقية متصلة بالواقع التاريخيّ لثورة يوليو، توجه الروائيون إلى الجانب التاريخيّ، وطرحوا الأحداث بصيغ فنية متباينة على مستويات مختلفة، وبصور متباينة، أفصحت عن أن الحقائق التاريخية لابد لها من وسائل جمالية؛ لتسجل حضورية في الرواية، وأبرز هذه الوسائل هي المتخيل الروائيّ الذي ساهم في خلق تصورات فنية، وتجاوزات على مستوى الكتابة الروائية التاريخية .

وهذه النماذج الروائية التي استلهمت ثورة يوليو ـ على الرغم من اتفاقها في عرض التاريخ في قالب روائيّ، وفي أمانتها للتاريخ، إلا إنها اختلفت في تقنياتها الفنية وطريقة عرضها؛ نظرًا لاختلاف موضوعاتها، ولتنوع ثقافات كُتابها واتجاهتهم ومشاربهم وخيالهم الإبداعيّ، مما يجعلنا نقر أن استلهام ثورة يوليو في تلك الروايات أضفي على التاريخ بعدًا جماليًا من خلال بث كل كاتب لمضامينه الراسبة في مخيلته، جعلت الحدث التاريخيّ جزءًا من السرد الروائيّ، أضفى على النص جمالًا فنيًا، ومنحته أبعادًا دلالية أرحب وأوسع، وبالتالي نستطيع أن نؤكد أن نجاح الروائيين في استلهام حوادث التاريخ، وإعادة تجسيده بطريقة أعادت للحدث نشاطه؛ ليصبح في متناول الكثيرين الذين ليس بمقدروهم الذهاب إلى كتب التاريخ الذي أضحى مقتصرًا على طبقة الباحثين والمثقفين .

[1] شوقيّ بدر يوسف: الرواية والروائيون، (دراسات في الرواية المصرية)، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، ط1، الإسكندرية، 2006م، ص 130.

[2] نضال الشماليّ: الرواية والتاريخ، بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2006م، ص 17.

[3] عبد الملك مرتاض: عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، (بحث في تقنيات الكتابة الروائية)، دار العرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، ص 40.

[4] يوسف السباعيّ: رد قلبي، ص ص 584 ـ 585.

[5] يوسف السباعيّ: رد قلبي، ص689.

[6] جمال حماد: غروب وشروق، ص ص 122 ـ 123.

[7] نجيب محفوظ: السمان والخريف، ص 21.

[8] نجيب محفوظ: السمان والخريف، ص 34.

[9] نجيب محفوظ: السمان والخريف، ص 12.

[10] إحسان عبد القدوس: الحياة فوق الضباب، ص 189.

[11] إحسان عبد القدوس: الحياة فوق الضباب، ص 196.

[12] جميل عطية إبراهيم: 1952، ص 83.

[13] جميل عطية إبراهيم: 1952، ص 225.

[14] نضال الشماليّ: الرواية والتاريخ، مرجع سابق، ص 216.

[15] جميل عطية إبراهيم: 1952، ص 228.

[16] جميل عطية إبراهيم: 1952، ص 223.

[17] جميل عطية إبراهيم: 1952، ص 331.

[18] حورية الظل: الفضاء الروائيّ بين الواقع والمتخيل، المجلة العربية، العدد 450، رجب 1435هـ، مايو 2014م، ص 48.

[19] يوسف السباعيّ: رد قلبي، ص224.

[20] يوسف السباعيّ: رد قلبي، ص418.

[21] يوسف السباعيّ: رد قلبي، ص561.

[22] جمال حماد: غروب وشروق، ص ص 295 ـ 296.

[23] جمال حماد: غروب وشروق، ص 136.

[24] جمال حماد: غروب وشروق، ص 114.

[25] جمال حماد: غروب وشروق، ص ص 267 ـ 268.

[26] جمال حماد: غروب وشروق، ص ص 259 ـ 260 .

[27] نجيب محفوظ: السمان والخريف، ص 15.

(28) نجيب محفوظ: السمان والخريف، ص 40.

(29) نجيب محفوظ: السمان والخريف، ص 43.

(30) نجيب محفوظ: السمان والخريف، ص 55.

(31) نجيب محفوظ: السمان والخريف، ص 36.

(32) إحسان عبد القدوس: الحياة فوق الضباب، ص ص 153 ـ 154.

(33) جميل عطية إبراهيم: 1952، ص ص 9، 10، 11.

(34) جميل عطية إبراهيم: 1952، ص 164.

(35) جميل عطية إبراهيم: 1952، ص 231.

(36) نضال الشماليّ: الرواية والتاريخ، مرجع سابق، ص 222.

(37) مصطفى المويقن: تشكل المكونات الروائية، دار الحوار للطباعة والنشر، ط1، 2001م، ص 208.

قائمة المصادر والمراجع:

- **أولًا : المصادر:**

1. إحسان عبد القدوس:" الحياة فوق الضباب"، الدار المصرية اللبانية، ط1، 2017م .
2. جمال حماد: غروب وشروق
3. جميل عطية إبراهيم: 1952، دار الهلال، 1990م .
4. نجيب محفوظ: السمان والخريف، دار الشروق، 2006م .
5. يوسف السباعي: رد قلبي، دار مصر للطباعة، 1955م .

- **ثانيًا المراجع:**

1. شوقيّ بدر يوسف: الرواية والروائيون، (دراسات في الرواية المصرية)، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، ط1، الإسكندرية، 2006م، ص 130.
2. عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، (بحث في تقنيات الكتابة الروائية)، دار العرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر.
3. مصطفى المويقن: تشكل المكونات الروائية، دار الحوار للطباعة والنشر، ط1، 2001م.
4. نضال الشماليّ: الرواية والتاريخ، بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2006م .

- **ثالثًا: المجلات:**

1. حورية الظل: الفضاء الروائيّ بين الواقع والمتخيل، المجلة العربية، العدد 450، رجب 1435هـ، مايو 2014م.